

المُقْتَرَبُ السُّنِّيُّ  
لِتَدْرِيسِ مَدْخَلِ الاقْتِدَاءِ  
فِي مِنْهَاجِ مَادَّةِ التَّرْبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



فِي مِنْهَاجِ مَادَّةِ التَّرْبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

عبد العزيز الإدريسي

باحث في قضايا التربية والتكوين

[elidrissihiba@gmail.com](mailto:elidrissihiba@gmail.com)

يندرج الإقدام على كتابة هذه الورقة العلمية في إطار مواكبة مستجدات المنهاج الجديد لمادة التربية الإسلامية بناءً وتنزيلًا، فهمًا وتفعيلًا، وذلك ضمن سياق المقاربة المعرفية البيداغوجية للمنهاج، والتفاعل مع الإشكالات التي تعتور تنزيله، ومحاولة الإجابة عن الأسئلة التي اجترحها الفاعلون من أساتذة ومفتشين وباحثين ومكونين.

وعلى الرغم من صعوبة الإحاطة بكل إشكالات المنهاج بناءً وتنزيلًا، فإننا سنحاول عرض أهم إشكالات الدرس السيري أو «مدخل الاقتداء» حسب تسمية المنهاج الجديد، ومحاولة اقتراح مقترح ديداكتيكي لقضاياها الكبرى وأسئلته الأساسية، من خلال استثمار المنظور السنني في الاستمداد من السيرة النبوية.

وقد كان لحضوري ومشاركتي في بعض الندوات التربوية واللقاءات التكوينية في السياق ذاته، الأثر الكبير في تعميق النظر واستيعاب أشمل لمفردات المنهاج وإشكالاته المعرفية والمرجعية والديداكتيكية.

بالإضافة إلى الممارسة الصفية التي شكلت محققًا حقيقيًا لمرجعية المنهاج ومقاصده، باعتبارها -الممارسة الصفية- صيغة من صيغ تنزيل المنهاج تدريسيًا وتقويماً، ومحاولة المقارنة بين المنهاج القديم والجديد.

وبعد مرور قرابة سنتين على صدور وثيقة المنهاج في يونيو ٢٠١٦، ودخوله حيز التنزيل البيداغوجي والتجريب الديداكتيكي والمقاربة التعليمية التعلمية، يحق لنا مساءلة مفردات هذا المنهاج، واقتراح

سيناريوهات بيداغوجية لتدريسية المداخل الخمسة<sup>(1)</sup>، ومن بينها مدخل الاقتداء.

## ★ إشكالية البَحْث:

إن المنهاج الجديد-المراجع- لمادة التربية الإسلامية، شكل طفرة منهجية وإضافة نوعية من خلال التمكين للسيرة النبوية في كل المراحل الدراسية والأسلاك التعليمية، غير أن هذه الإضافة النوعية شابتها بعض الإشكالات المنهجية والمعوقات الديدانكية بالنظر إلى الطبيعة الإستمولوجية لمدخل الاقتداء.

ومن خلال الممارسة الصفية والتنزيل الديدانكي، ونماذج من الامتحانات الجهوية والإشهادية، رشحت جملة من الإشكالات، لعل أهمها: ما المقرب المنهجي المعتمد في تدريس مدخل الاقتداء؟ وكيف يمكن تقويم مدخل الاقتداء في علاقته بالمداخل الأخرى؟ وهل سندرس السيرة النبوية باعتبارها مكوناً من مكونات المعرفة الإسلامية، ومصدرًا من مصادر المعرفة الشرعية؟ أم سندرسها باعتبارها وسيطًا معرفيًا لترسيخ القيم وترشيد الدين؟ ونظرًا لغياب وثيقة «التوجيهات التربوية للمادة» -إلى يوم الناس هذا- فإن مدخلات ومخرجات الدرس السيربي تتفاوت حسب الخلفيات والمرجعيات وتكوينات أساتذة المادة.

فإلى أي حد يمكن استثمار المقرب السنني في تدريس مدخل الاقتداء من خلال اقتراح منظومة من الضوابط المنهجية والقواعد البيداغوجية، التي تشكل نسقًا متكاملًا للاستمداد من الدرس السيربي؟

(1) المداخل الخمسة التي اعتمدها المنهاج الجديد: التزكية، الاقتداء، الاستجابة، القسط، الحكمة.

## \* أهداف البحث:

- \* بيان مركزية «السيرة النبوية» في المنهاج الجديد لمادة التربية الإسلامية.
- \* تأصيل المقرب السنني في تدريس مدخل الاقتداء.
- \* اقتراح سيناريو بيداغوجي لتدريس مدخل الاقتداء وفق مقارنة سننية.

## \* عناصر البحث:

### توطئة إشكالية:

**المحور الأول:** السياق العام لمراجعة المنهاج، ومركزية مدخل الاقتداء في النسق البيداغوجي للمنهاج الجديد للمادة.

**المحور الثاني:** المقتربات العشر للاستمداد من السيرة النبوية.

**المحور الثالث:** المقرب السنني لتدريس مدخل الاقتداء.

خلاصات وتوصيات:

«المُقْتَرَبُ السُّنِّيُّ لِتَدْرِيسِ مَدْخَلِ الاقْتِدَاءِ فِي الْمُنْهَاجِ الْجَدِيدِ  
لِمَادَّةِ التَّرْبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ»

عبد العزيز الإدريسي

توطئة إشكالية:

إلى أي حد يحقق المنهاج الجديد أو المراجع الانسجام والتوافق مع الفلسفة المؤطرة للرؤية الاستراتيجية لإصلاح منظومة التربية والتكوين ٢٠١٥-٢٠٣٠؟ وما مدى تناسق هذا المنهاج مع مقتضيات دستور ٢٠١١؟ خاصة فيما يتعلق بالقيم الحاكمة والمقاصد الناضمة.

وإلى أي حد استجاب المنهاج المراجع لمادة التربية الإسلامية لتطلعات الباحثين والمهتمين؟ وهل استفاد من التراكم المعرفي والبيداغوجي والديداكتيكي الذي حققته المادة منذ عقود؟ وما أهم نقاط قوته؟ أي ما الإضافات النوعية لهذا المنهاج؟ وما نقاط ضعفه، التي تشكل ثغرات تعطل من نجاعته وتحدد من فاعليته؟

وهل حققت المداخل المعتمدة في تصريف المنهاج القيمة المضافة؟ ولماذا تم التراجع عن الأنشطة والدروس التطبيقية؟ رغم أن فائدها البيداغوجية وتنوعها الديداكتيكي كان له الأثر الإيجابي في تمهير المتعلمين والارتقاء بقناعاتهم وترشيد سلوكياتهم؟ ولماذا تم حذف كل دروس نظام الإرث في سياق شائك وواقع معقد، مرتبط بتدافع المرجعيات؟

وهل يوجد انسجام وتكامل بين المداخل ومفردات العناوين المقررة؟ وإلى أي حد وُفق واضعوا المنهاج في الهندسة البيداغوجية، الممتدة من التعليم الابتدائي مرورًا بالتعليم الثانوي الإعدادي إلى التعليم الثانوي التأهيلي بشقيه العمومي والخصوصي؟

ما المقترحات الديداكتيكية لمقاربة المداخل الخمسة في بعدها النسقي والتكاملي؟ وكيف يمكن استثمار مدخل الاقتداء باعتباره مدخلًا محوريًا في تنزيل مفردات المنهاج؟

## \* المحور الأول:

السياق العام لمراجعة المنهاج، ومركزية مدخل الاقتداء في النسق البيداغوجي للمنهاج الجديد للمادة.

تعرف المنظومة التربوية والتعليمية المغربية منذ الاستقلال إلى اليوم، على غرار باقي الدول نقاشًا تربويًا قويًا وفكريًا مستفيضًا وسياسيًا ساخنًا ومرجعياً حادًا، هذا النقاش من منظوري الخاص نقاش مقبول وصحي ومفيد، لأنه يجسد حيوية الفاعلين في المجتمع، وحاجة المنظومة إلى التطوير والتجديد، ويندرج في سياق البحث الحثيث عن نموذج بيداغوجي يستوعب الإشكالات، ويحقق الأهداف والغايات.

ومن تمظهرات هذا النقاش المستمر، الدعوة الملكية إلى مُراجعة مقررات تدريس التربية الدينية بمدينة العيون بتاريخ ٢٦ من ربيع الثاني ١٤٣٧هـ/٦- من فبراير ٢٠١٦، سواء تعلق الأمر في المدرسة العمومية أو التعليم الخصوصي، حيث اشتغلت لجنة علمية-ممثلة لوزارة الأوقاف ووزارة التربية الوطنية- في تكتم وسرية شديدين، فأصدرت وثيقة منهاج مادة التربية الإسلامية المراجع في شهر يونيو ٢٠١٦، مع ما واكب ذلك من إشكالات التسمية، هل هي تربية دينية أم تربية إسلامية؟ وحُسم هذا الإشكال بعد سجال في مواقع التواصل الاجتماعي، وبعض الفضاءات العلمية والتربوية بل وفي

بعض الأحيان السياسية، قلت: حُسم لصالح الإبقاء على المُسمى القديم «مادة التربية الإسلامية» نظرًا لَحَمولته المفهومية وبسببها الحضارية.<sup>(١)</sup>

## ★ أولًا: المنهاج الجديد: توصيف عام

منهاج مادة التربية المُراجَع الصادر في شهر يونيو ٢٠١٦م، يتكون من وثيقتين متكاملتين الأولى تخص مفردات السلك الابتدائي، والثانية تخص مفردات السلك الثانوي الإعدادي والتأهيلي، وعمومًا تضمنت وثيقة المنهاج النقاط الأساسية التالية:

### تقديم:

أولًا: منطلقات مراجعة وتدقيق منهاج التربية الإسلامية بالتعليم الثانوي.

ثانيًا: مواصفات المتعلم (ة) بالتعليم الثانوي.

ثالثًا: مرجعيات وأسس بناء منهاج التربية الإسلامية.

رابعًا: المفاهيم الأساسية للتربية الإسلامية.

خامسًا: الأهداف العامة لمنهاج التربية الإسلامية.

سادسًا: المهارات الأساسية.

سابعًا: التربية الإسلامية بالتعليم الثانوي الإعدادي.

ثامنًا: التربية الإسلامية بالتعليم الثانوي التأهيلي.

(١) عبد العزيز الإدريسي، مقال تحت عنوان: مَادَةُ التَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بَيْنَ مُرَاجَعَةِ الْمُنْهَاجِ وَمُرَاجَعَةِ الْكُتُبِ الْمَدْرَسِيَّةِ، منشور بمواقع إلكترونية عديدة، منها هسبرس وغيرها.

أولاً: بالنسبة لمنطلقات مراجعة وتدقيق منهاج التربية الإسلامية بالتعليم الثانوي، فقد حددها في المنطلقات العامة للإصلاح التربوي بالمغرب والمتمثلة في:

الميثاق الوطني للتربية والتكوين (٢٠٠٠-٢٠١٠)، بما هو تأكيد على دور المدرسة لتحقيق النماء والتقدم، عبر اعتماد التربية على القيم وتمية وتطوير الكفايات التربوية، والارتكاز اعتماد مبدأ التنسيق والتكامل والتوازن بين المواد لبناء الكفايات...

٢- الرؤية الاستراتيجية (٢٠١٥-٢٠٣٠)، بما هي تنظير مدرسة الإنصاف وتكافؤ الفرص، والجودة للجميع، والارتقاء بالفرد والمجتمع.

٣ - استراتيجية الوزارة في مراجعة المناهج والبرامج، حيث التنصيص على المشاريع ذات الأولوية «تحسين منهاج السنوات الأربع من التعليم الابتدائي»، وذلك عبر تجاوز ضعف الانسجام الخاص بمادة التربية الإسلامية.

٤- الاختيارات والتوجهات العامة للإصلاح التربوي، وتشمل:

أ- مجال القيم: قيم العقيدة الإسلامية - والهوية الحضارية - والأخلاق الفاضلة - وقيم المواطنة - وحقوق الإنسان ومبادئها الكونية.

ب- مجال التنمية وتطوير الكفايات: التركيز على الكفايات الخمس: ١- الاستراتيجية ٢- التواصلية ٣- المنهجية ٤- الثقافية ٥- التكنولوجية.

ج - في مجال المضامين: المعرفة إنتاج وموروث إنساني. التكامل والتنسيق بين المعارف، اعتماد مبدأ الاستمرارية التدرج في بناء المعارف، تجاوز التلقين والحشو والكم، تنويع المقاربات الديدانكتيكية والبيداغوجية.

بالإضافة إلى حديث منهاج عن مواصفات المتعلم عمومًا، التي تتغى تخريج متعلم: متشبع بقيم الدين الإسلامي - منفتح



على الحضارة - ملم بقيم الحداثة - متمسك بالسلوك القويم المعتدل، هذا ما يرتبط بالقيم، أما المواصفات المرتبطة بالكفايات والمضامين فتتمثل في كونه: ممتلئاً لرصيد معرفي من العلوم الشرعية - ممتلئاً لأدوات التعامل مع أنواع الخطاب - قادرًا على فهم ذاته وبلورة علاقة مع الآخرين - متمكناً من إدماج التكنولوجيا المعاصرة.

أما مرجعيات المنهاج وأسس بنائه فقد حددتها الوثيقة في المرجعيات الآتية:

١- مرجعية شرعية: تستند إلى خصوصية المعرفة الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة النبوية، ووحدة العقيدة المتجاوزة للخلافات الكلامية، والثوابت المغربية المتمثلة في إمارة المؤمنين والمذهب المالكي والتصوف السني، بله عن تأصيل المفاهيم الشرعية.

٢ - مرجعية العلوم الإنسانية: المستندة إلى مستجدات الفكر الإنساني، والمنفتحة على الأدبيات الحديثة والمعاملات المالية والبيئية المعاصرة، وعلى فلسفة القيم، ومنظومة حقوق الإنسان.

٣- مرجعية المقاربات البيداغوجية المتمركزة حول المتعلم (ة) وفاعليته، من خلال: تشخيص التمثلات وتعديلها وتصحيحها - اعتماد بيداغوجيا تطير السلوكات وبناء المواقف الإيجابية، اعتماد وضعيات تعليمية، وأخرى تقويمية تروم قياس مدى تحقق الكفاية...

فيما يخص الأسس الوظيفية لمنهاج التربية الإسلامية، فإنه يتأسس على الموجهات التالية<sup>(١)</sup>: ١- الارتقاء، ٢- الشمول، ٣- الانفتاح، ٤- التجديد.

ومن القضايا التي تميز بها المنهاج الجديد، هو تعريفه لمادة التربية الإسلامية<sup>(٢)</sup>:

(١) للمزيد من التفصيل انظر وثيقة المنهاج ص ٦.

(٢) نفسه ص ٧.

التربية الإسلامية مادة دراسية تروم تلبية حاجات المتعلم(ة) الدينية التي يطلبها منه الشارع حسب سنه وزمانه ونموه العقلي والنفسي والسياسي الاجتماعي، ويدل هذا المفهوم على تنشئة الفرد وبناء شخصيته بأبعادها المختلفة الروحية والبدينية وإعدادها إعدادًا شاملاً ومتكاملاً، وذلك استناداً إلى:

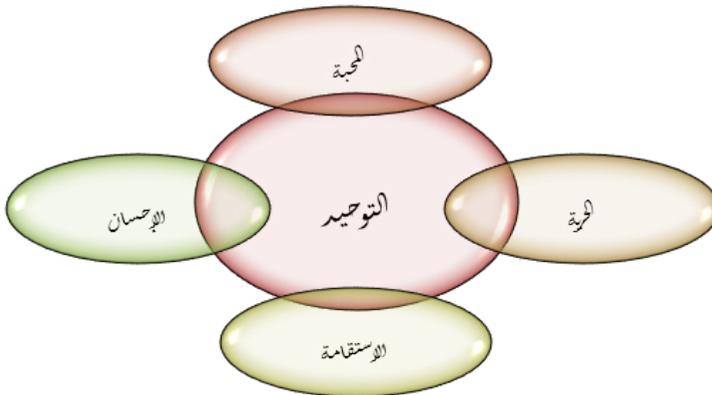
- المبدأ: ضرورة الاستجابة للحاجات الدينية الحقيقية.

- الغاية: اكتساب القيم الأساسية للدين المتمركزة حول قيمة التوحيد.

- المداخل: التزكية والاعتداء والاستجابة والقسط والحكمة.

أما مقاصد مادة التربية الإسلامية فتتحدد في: ١- المقصد الوجودي ٢- المقصد الكوني ٣- المقصد الحقوقي ٤- المقصد الجودي، التي غاياتها الكبرى هي تحقيق كمال حرية الإنسان من خلال إخلاص العبودية لله وحده.

ومن القضايا التي أثارها النقاش المعرفي والسجال البيداغوجي ما ارتبط بموضوع القيمة المركزية: (التوحيد) والقيم الناظمة: (الحرية - المحبة - الإحسان - الاستقامة)، حيث بينت وثيقة المنهاج من خلال الخطاطة الآتية هذه القيم:



نختم هذا التوصيف السريع والمختصر بأهم أهداف مادة التربية الإسلامية، كما نص عليها المنهاج المراجع:

- ✱ التثبيت بالهوية الدينية والثقافية والحضارية المغربية.
- ✱ ترسيخ عقيدة التوحيد وقيم الدين الإسلامي على أساس الإيمان النابع من التفكير والتدبر والإقناع وتثبيتها في نفس المتعلم(ة) انطلاقاً من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- ✱ تعرف المتعلم على سيرة الرسول ﷺ ومقاصدها وفقهها والالتقاء به.
- ✱ تنمية فهمه وإدراكه للمفاهيم الشرعية وتجربتها وتعميمها، حتى يتمكن من بناء شبكة مفاهيمية تبرز العلاقات بين المفاهيم المكتسبة في المراحل التعليمية السابقة والمفاهيم الجديدة.
- ✱ تنشئة المتعلم(ة) على قيم التعايش والتكافل والتضامن والتسامح واحترام الآخر.
- ✱ بناء الشخصية الإسلامية المتوازنة والمنفتحة عند المتعلم(ة).
- ✱ اكتساب معارف مرتبطة ارتباطاً مباشراً بالقضايا الأساسية ذات الأهمية العالمية.
- ✱ اكتساب قيم وأخلاق وميول أصيلة تنمو وتنتج على التراث الوطني والعالمي.
- ✱ اتخاذ المواقف والتصرفات المناسبة تبعاً للتعليمات والمكتسبات .
- ✱ اكتساب المهارات المشتركة بين المواد، بالإضافة إلى المهارات الخاصة بمادة التربية الإسلامية.



## \* ثانيًا: المنهاج الجديد: ملاحظات عامة

بالرجوع إلى الندوات والمؤتمرات<sup>(١)</sup> التي عُقدت في السنة التجريبية ٢٠١٧-٢٠١٦ للمنهاج، بالإضافة إلى الاستمارات التي تم استثمارها، والملاحظات المسجلة خلال الممارسة الصفية فقد تم تسجيل جملة من المقترحات والانتقادات والتنويهات حول المنهاج، بل ورفعت الجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية «مذكرة بيداغوجية»<sup>(٢)</sup> ضمنها رؤيتها للمنهاج المراجع، واقتراحاتها لتطويره، ومعالجة اختلالاته ومنها:

### أ- الملاحظات الإيجابية: الإضافات النوعية

- بناء المنهاج المراجع لجميع المستويات الدراسية من السلك الابتدائي إلى نهاية السلك الثانوي التأهيلي، وفق المداخل الرئيسة التالية: «التزكية»، و«الاعتداء»، و«الاستجابة»، و«القسط»، و«الحكمة». واعتبار القرآن الكريم مهيمناً ومؤطرًا لكل المداخل، وهذا مما يحمد لهذا المنهاج.

- إعادة المنهاج الجديد الوصال بالسير النبوية العطرة، وسير الصحابة الكرام.

- استمرارية التركيز على بيداغوجيا الكفايات.

- التوسيع من الغلاف الزمني الخاص بالسلك الإعدادي (حصتان تربويتان للدرس الواحد).

(١) من أهم الندوات الكبرى التي انعقدت لهذا الغرض:

- ندوة الرباط الأحد ٢٧ من نونبر ٢٠١٧، ندوة وطنية في موضوع: قراءة في المنهاج الجديد لمادة التربية الإسلامية.

- ندوة أسفي ٢٢ و٢٣ من أبريل ٢٠١٧، ندوة وطنية: منهاج مادة التربية الإسلامية: قراءات ومقاربات بيداغوجية.

- ندوة خريبكة ١٤/١٣/٢٠١٧ من ماي ٢٠١٧، ملتقى وطني: منهاج التربية الإسلامية المراجع: الواقع وأفاق التطوير (٢) الجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية، المكتب الوطني، المذكرة البيداغوجية، لتطوير المنهاج

المراجع لمادة التربية الإسلامية يونيو ٢٠١٦، القنيطرة في: هـ. من رمضان ٣١/٤٣٨ / ٢٠١٧.

- تقليصه من عدد الدروس المبرمجة في السلك الإعدادي.
- تأكيده على القيم وتحديده لأول مرة القيمة المركزية والقيم الناظمة لها.

## ب- الملاحظات السلبية:

- غموض التصور التربوي للمنهاج (غياب وثائق تربوية توضيحية مرفقة).
- غياب التحديدات المصطلحية للمفاهيم المعتمدة في المنهاج (المدخل - الغاية - المقصد - القيمة...) وما تطرحه من تداخل وغموض.
- غياب التحديدات العلائقية بين المفاهيم بشكل دقيق وبمركزات الميثاق الوطني للتربية والتكوين وما تراكم من أدبيات تربوية على مستوى المادة تربويًا وبيداغوجيًا.
- قصور المنهاج المراجع وعدم استيفائه لمكونات المنهاج التربوي (الوسائل - التقويم - المقاربات البيداغوجية...).
- عدم الالتزام بدفاتر التحملات التي تنص على ضرورة إنتاج الكتاب المدرسي في شقيه كتاب التلميذ ودليل الأستاذ.
- عدم فتح المجال للتنافس الحقيقي في التأليف المدرسي احترامًا لمقتضيات دفتر التحملات.
- عدم مراعاة خصوصية المسالك على مستوى التعليم الثانوي التأهيلي، المسالك الفنية والتقنية والمهنية (ذات الحصّة الواحدة) - ومسلكي الآداب والعلوم الإنسانية (حصتان): بحيث يدرس البرنامج نفسه للمسالك على اختلاف تخصصاتها وعدد حصصها خاصة مع استحضار إكراهات التقويم وبصفة أخص في الامتحانات الإشهادية الجهوية لمختلف الشعب والمسالك، والوطنية بالنسبة للمسالك المهنية.

- التراجع الملحوظ عن حصص التطبيقات والأنشطة رغم أهميتها ودورها في ترسيخ مجموعة من القيم وإذكاء الفاعلية على تدريسية المادة.

ومن الملاحظات التي وجب التنبيه عليها:

- إعادة النظر في الكتاب المقرر حاليًا في درس المؤلفات: «السيرة النبوية دروس وعبر» للشيخ مصطفى السباعي، خاصة بعد إدراج مكون السيرة النبوية في سنوات كل الأسلاك التعليمية عبر مدخل الاقتداء.

- ضرورة إصدار المذكرة الخاصة بالمؤلفات تدريسيًا وتقويًا.

وعومًا هناك العديد من الملاحظات والاقتراحات التي قدمها الكثير من الفاعلين والمهتمين بالشأن التربوي، التي تروم بالأساس تميم الإيجابيات التي شكلت إضافة نوعية في المنهاج الجديد، وكذلك استدراك بعض الاختلالات التي عرفها المنهاج، ثم اقتراح بعض السيناريوهات البيداغوجية من أجل حسن تنزيل المنهاج واستثمار نقاط قوته.

## ★ المحور الثاني:

المقتربات العشر للاستمداد من السيرة النبوية، والمقرب السنني لتدريس مدخل الاقتداء.

### السيرة النبوية وإشكالية التعريف والتصنيف:

ثمة ترابط بين ثلاثة مفاهيم مركزية ومحورية مرتبطة بميراث النبوة وهي: الحديث والسنة والسيرة، فما دلالة كل مفهوم؟ وما حدود كل مفهوم؟ وإلى أي حد يحصل التكامل في مقارنة هذه المفاهيم بدل التداخل؟

إن صعوبة تعريف السيرة النبوية راجع بالأساس إلى المظان والمصادر الأساسية في تدوين السيرة النبوية، بالإضافة إلى منهجية الاشتغال على الإرث النبوي، من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى يوم الناس هذا.

فمثلاً نجد العلامة الطاهر بن عاشور في كتابه أليس الصبح بقريب؟ وهو كتاب في إصلاح منظومة التعليم والتكوين الإسلامية، عندما يعرف علم الحديث يقول: «يراد بعلم الحديث في أغلب إطلاقاته وأخصها، حفظ ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل، وما نقل عن أصحابه من سننه وسننهم الراجعة إلى التأسّي به. وربما أطلق إطلاقاً أعم على ما يضم فنوناً خمسة، وهي: متن الحديث، ومصطلحه، وصفات النبي ﷺ، ودلائل نبوته، وسيرته وغزواته. ومن البين أن بعضها يتداخل في بعض<sup>(١)</sup>».

من خلال هذه القولة نلاحظ أن السيرة مندرجة في علم الحديث، بل هي فن من فنونه الخمسة، هذا الملحظ، يحتم علينا تعريف الحديث والسنة والسيرة، كل لفظة على حدة.

## ١. تعريف السنة:

### أ. السنّة في اللغة:

السيرة أو العادة أو الطريقة المتبعة، حسنة كانت أم سيئة، غير أنّ أهل اللغة اتفقوا على أنّ كلمة السنّة إذا أُطْلِقَتْ انصرفت إلى الطريقة أو السيرة الحميدة فقط، ولا تُستعمل في غيرها إلّا مقيدة، وهي مأخوذة من قول العرب: سن الماء إذا ولى صبه، أو من «سن الشيء بالمسن» إذا أمره عليه وجاء في لسان العرب: سن عليه الماء صبه، وقيل أرسله إرسالاً<sup>(٢)</sup>.

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، أليس الصبح بقريب؟ التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة-القاهرة، دار سخنون للنشر والتوزيع-تونس،

الطبعة الثانية ١٤٢٨م ص: ١٦٩-١٧٠

(٢) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر-بيروت، ج ١٣ ص ٢٢٧.

وكل من ابتدأ أمرًا عمل به قومه من بعده يقال فيه هو الذي  
سنه. قال الشاعر:

كأنني سننت الحب أول عاشق\*\*\*\*\*من الناس إذا أحب من بينهم وحدي<sup>(١)</sup>

والسَّنَن: الطريقة يقال استقام فلان على سَنَن واحد<sup>(٢)</sup>، ومنه  
قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سَنَن من كان قبلكم  
شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا يا  
رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»<sup>(٣)</sup>.

## ب. السُّنَّة في الاصطلاح:

تطلق السنة في الشرع ويقصد بها عمومًا: أقواله -صلى الله  
عليه وسلم- غير القرآن الكريم، وأفعاله، وإقراراته، وصفاته الخُلُقِيَّة  
والخُلُقِيَّة، وسائر أخباره سواء، كان ذلك قبل البعثة أم بعدها.

بيد أن الدلالة الاصطلاحية لمفهوم السنة يختلف من علم إلى علم:

### ✓ السنة عند الأصوليين:

«هي كل ما صدر عن النبي ﷺ من غير القرآن قولًا أو فعلًا أو تقريرًا  
مما يصلح أن يكون دليلًا شرعيًا لحكم شرعي»<sup>(٤)</sup>.

### ✓ السنة عند المحدثين:

«ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية  
أو خلقية أو سيرة، سواء قبل البعثة أو بعدها، وهي بهذا ترادف  
الحديث عند بعضهم»<sup>(٥)</sup>.

(١) نفسه، ص ٢٢٥

(٢) الرازي، مختار الصحاح، اعتنت بتصحيحها، نجوى أنيس ضو، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ  
العربي، ص ١٩٣

(٣) البخاري «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه» «دار طوق النجاة  
(مصورة عن السلطانية، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ كتاب الأنبياء ٤، باب ٤٩ ما  
ذكر عن بني إسرائيل).

(٤) عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين، ص ١٥.

(٥) مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ص ٤٧.

## ✓ السنة عند الفقهاء:

ما ثبت عن النبي ﷺ من غير افتراض ولا وجوب، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة، وقد تطلق عندهم على ما يقابل البدعة<sup>(١)</sup>.

### ٢. تعريف الحديث:

الحديث في عُرف الشرع<sup>(٢)</sup>؛ ما يضاف إلى النبي ﷺ، كأنه أريد به مقابلة «القرآن» لأنه قديم، وقال الطيبي: الحديث أعم من أن يكون قول النبي ﷺ، أو الصحابي، أو التابعي، وفعلهم وتقريرهم، قال أبو غدة: وهو على هذا مرادف للسنة.

وقال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة»<sup>(٣)</sup>: الخبر عند علماء هذا الفن مرادف للحديث، وقيل: الحديث ما جاء عن النبي ﷺ، والخبر ما جاء عن غيره، ومن ثم قيل لمن يشتغل بالتواريخ وما شاكلها: أخباري، ولمن يشتغل بالسنة النبوية: المحدث، وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل حديث خبر من غير عكس، وعبر هنا بالخبر ليكون أشمل.

### ٣. تعريف السيرة:

#### أ. تعريف السيرة لغةً:

السيرة لغةً: قال ابن فارس: السَّين والياء والرَّاء أصلٌ يدلُّ على مضىٍّ وجريانٍ؛ يقال: سار يسير سيرًا. والسَّيرَةُ: الصَّريقةُ في الشَّيء.

(١) نفسه، ص ٤٨.

(٢) الفقيه ظفر أحمد العثماني التهانوي، قواعد في علوم الحديث، حققه وراجع نصوصه وعلق عليه عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - سوريا، الطبعة الثالثة ١٣٩١هـ/١٩٧٧م، ص ٢٤ وما بعدها.

(٣) الحافظ ابن حجر العسقلاني، نزهة النظر شرح نخبة الفكر، تعليق وشرح صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ص ٢٣.

والسُّنَّةُ: لِأَنَّهَا تَسِيرٌ وَتَجْرِي<sup>(١)</sup>، وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ<sup>(٢)</sup>: «السَّيْرَةُ: الطَّرِيقَةُ. يُقَالُ: سَارَ بِهِمْ سَيْرَةً حَسَنَةً. وَالسَّيْرَةُ: الْهَيْئَةُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْمَجِيدِ: «سَتَجِدُهَا يُسَيِّرَتَهَا الْأُولَى»<sup>(٣)</sup> وَسَيَّرَ سَيْرَةً: حَدَّثَ أَحَادِيثَ الْأَوَائِلِ» وَبِهَذَا يَكُونُ مَعْنَى السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي اللُّغَةِ: مَا أُضِيفَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ السُّنَّةِ وَالطَّرِيقَةِ وَالْهَيْئَةِ وَأَحَادِيثِ الْأَوَائِلِ.

## ب. تعريف السيرة اصطلاحًا:

السَّيْرَةُ اصطلاحًا: لَهَا دَلَالَاتٌ مُتَنَوِّعَةٌ وَمُتَكَامِلَةٌ: فَقَدْ تَكُونُ مُرَادِفَةً لِمَعْنَى السُّنَّةِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ؛ وَتَعْنِي مِنْهُجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْأَصُولِ، كَمَا تَعْنِي عِنْدَ عُلَمَاءِ التَّارِيخِ أَخْبَارَهُ وَمُغَازِيَهُ وَأَيَامَهُ.

يُشِيرُ الدُّكْتُورُ فَارُوقُ حَمَادَةُ إِلَى أَنَّ: «السَّيْرَةَ النَّبَوِيَّةَ تَجَسَّدُ تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ كَمَا أَرَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى، أَنْ تَطْبُقَ فِي عَالَمِ الْأَحْيَاءِ وَالْبَشَرِ وَذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَظُرُوفِهِ، نَوْمًا وَيَقْظَةً، سَلَامًا وَحَرْبًا، جَدًّا وَمَدَاعِبَةً، غَضَبًا وَرُضًا، فَرْدًا وَجَمَاعَةً...»<sup>(٤)</sup>.

وَهُوَ الْمَعْنَى نَفْسَهُ الَّذِي أَكَّدَ عَلَيْهِ د. مَعْتَزُ الْخَطِيبُ فِي تَعْرِيفِهِ لِّلْسَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ: «إِنَّ السَّيْرَةَ النَّبَوِيَّةَ هِيَ تَجَسِيدٌ وَتَمَثِيلٌ لِتِلْكَ الْمُبَادِئِ النَّظَرِيَّةِ «الْمَتَعَالِيَّةِ» الَّتِي حَوَاهَا الْقُرْآنُ، وَهِيَ بَرَهَانٌ عَمَلِيٌّ عَلَى إِمْكَانِيَّةِ تَطْبِيقِ الْإِسْلَامِ دِينًا وَدَوْلَةً، فَبَعْدَ أَنْ تَنْزَلَ الدِّسْتُورُ الْإِلَهِيُّ النَّظَرِيُّ، وَتَمَّ تَجَسِيدُهُ تَجَسِيدًا نُمُودَجِيًّا مِمثَلًا بِشَخْصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ سَبْحَانَهُ: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)»<sup>(٥)</sup>.

وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَعْرِفَ السَّيْرَةَ النَّبَوِيَّةَ: بِالْعِلْمِ الَّذِي يَسْتَعْرِضُ حَيَاةَ النَّبِيِّ وَأَيَامَهُ وَأَخْبَارَهُ وَأَحْوَالَهُ وَأَخْبَارَ أَصْحَابِهِ عَلَى الْجَمَلَةِ، وَبَيَانَ أَخْلَاقِهِ وَصِفَاتِهِ وَخُصَائِصِهِ وَدَلَائِلَ نُبُوَّتِهِ وَأَحْوَالِ عَصْرِهِ، غَيْرَ أَنَّ جَمَالَ الدِّينِ

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، الجزء ٣، ص ١٢٠.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، الجزء ٤ ص ٣٩٠، مادة (سیر).

(٣) سورة طه الآية ٢١.

(٤) فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، دار الثقافة - الدار البيضاء الطبعة الأولى - ١٩٨٠/٥.

ص ١٣.

(٥) معتز الخطيب، حول مناهج كتابة السيرة النبوية، مقال علمي منشور في موقع: ملتقى أهل الحديث.

القاسمي أدخل السيرة في علم الحديث بقوله: «... فهذا كله يدخل في مسمى الحديث، وهو المقصود بعلم الحديث فإنه إنما يطلب ما يستدل به على الدين، وذلك إنما يكون بقوله أو فعله أو إقراره، وقد يدخل فيها بعض أخباره قبل النبوة وبعض سيرته قبل النبوة مثل تحنثه في غار حراء، ومثل حسن سيرته، لأن الحال يستفاد منه ما كان عليه قبل النبوة من كريم الأخلاق، ومحاسن الأفعال»<sup>(١)</sup>.

انطلاقاً من هذه التعاريف للحديث والسنة والسيرة، يمكن تسجيل بعض الملاحظات التي ستفيدنا في السيناريو البيداغوجي لتدريس السنة النبوية وتقويمها:

١- أن هناك عمومًا وخصوصًا بين الحديث والسيرة والسنة بمعنى أن هذه المفاهيم تجتمع في أشياء، وينفرد كل مفهوم منها عن الآخر بأشياء. فمثلًا تنفرد السيرة بتحديد زمان ومكان مولد النبي ونسبه الشريف...، في حين وتنفرد السنة بأحاديث الأحكام، التي تدخل في ميدان الاستدلال الأصولي، والاستنباط الفقهي.

٢- أنّ التأليف في السيرة النبوية يُراعى في الزمن وحيثياته، والمكان ومواصفاته، بخلاف الكتابة والتأليف في السنة والحديث.

٣- في دراسة لمعتز الخطيب حول تدوين السيرة النبوية يبين هذه الملحوظات بقوله: «فالحديث في اصطلاح المحدثين: هو ما أُضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة. لكن الأصوليين يستثنون من التعريف كلمة «صفة» لأنهم يبحثون في الأمور التشريعية العملية، والملحوظ أنهم غالباً ما يستعملون لفظ «السنة» بدل «الحديث» أما المحدثون فإنما يستعملون لفظ «الحديث»، أكثر من «السنة»، وإن أطلقوا السنة فهي عندهم تشمل الطريقة العملية، ومن ثمّ سميت «السنن» «الأربعة» (سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه) وغيرها لاعتنائها بالأحكام العملية، والأكثر في اصطلاح المحدثين أن السنة والحديث مترادفان

(١) جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤، ص ٦٤.

وهما يشملان أقوال النبي والصحابة والتابعين وهو ما اصطُليح عليه بالحديث «المرفوع» و«الموقوف» و«المقطوع». ومن ثم قيل: «سنة الشيخين» وإن كان الأليق أن يُلحظ المعنى اللغوي لـ «السنة» وهو الطريقة، فيقال لكل ما يتعلق بالتطبيق العملي (الفاعل): «سنة» ولكل ما يتعلق بالأقوال: «حديث».

أما السيرة: فهي -في تطبيق المحدثين- جزء من الحديث حيث إن كتب الحديث أفردت باباً لها ضمن الأبواب دُعي باسم «المغازي والسَّير» إلى جانب أبواب الطهارة والصلاة والتفسير وغيرها.

والجدير بالملاحظة أن كثيراً من كتب السيرة الأولى سميت بـ «المغازي» كمغازي أبان بن عثمان (١٠١هـ) ومغازي عامر بن شراحيل الشعبي (١٠٣هـ) ومغازي موسى بن عُقبة (١٤٠هـ) وتذكر كتب التراجم أن ابن إسحاق كان إماماً في «المغازي» وهذا التعبير هو الشائع على لسان العلماء في ذلك العصر كالشافعي، وإن كان المعنى اللغوي للسيرة والسنة واحداً فكلاهما بمعنى «الطريقة».

### المقتربات العشر للتصنيف في السيرة النبوية:

اختلفت منهجية المصنفين في مقارنة السيرة النبوية، لأسباب متعددة، منها تباين مرجعياتهم المعرفية، وغلبة فن من الفنون على المصنف أو المؤلف، أو حاجة الأمة إلى مقارنة السيرة من زاوية محددة، أو حصول نوع من الإشباع في مجال من مجالات التأليف، ومنها أيضاً تطور الدرس السيرى في مسيرة المعرفة الإسلامية، والانفتاح على بعض المعارف المعاصرة، والمناهج المستجدة إلى غير ذلك مما لا يتسع له المقال والمقام.

فمثلاً غالبية المحدثين والحفاظ الذين كتبوا في السيرة كتبوا بمنهجية أهل الحديث، معتمدين على منهجية الجرح والتعديل في قبول الروايات أو ردها، وبعضهم استند في تأليفه في مجال السيرة المنهج التاريخي فتساهل في المرويات وضبط نصوص السيرة.

وتجدر الإشارة إلى أن الكتابة حول السيرة النبوية: «كانت منذ الصدر الأول حتى أيامنا هذه، ما يعز على الحصر من المؤلفات والكتب بين صغير وكبير، ومنظوم ومثثور، ومتون وشروح، وسيبقى الكاتبون يدورون حول سيرة المصطفى ﷺ ويكتبونها في كل عصر بلغته»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الصدد نقدم المقتربات العشر للتصنيف في السيرة النبوية بنوع من الاختصار:

### ١. المقرب التاريخي:

قد سلك المؤلفون بالمقرب التاريخي منهج التأريخ بشكل عام للأمم والدول بشكل قبل الإسلام وبعده. وغالبًا ما كان يبدأ المؤرخ من بداية الخليقة، وينتهي المؤلف بعصر<sup>(٢)</sup>، وبالتالي تكون أحداث السيرة ووقائعها ضمن فصل من فصول ذلك الكتاب، حيث اتخذت التنظيم الموضوعي مع قراة الترتيب الزمني في سوق الموضوعات سواء في تواريخ الأمم السابقة أو التاريخ الإسلامي بعد البعثة النبوية، ومن تلك الكتب نجد:

- تاريخ الأمم والرسل والملوك للإمام أبي جعفر الطبري ت.٥٣١هـ.
- الحوليات لأحد أئمة التاريخ خليفة بن خياط العصفري ت.٥٢٤هـ.
- البدء والتاريخ ابن طاهر المقدسي ت.٥٣٥هـ.
- فتوح البلدان أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ت.٥٢٧هـ.
- الكامل في التاريخ عز الدين أبي الحسن الجزري، المعروف بـ ابن الأثير الجزري ت.٦٣٠هـ.

وغيرها من الكتب والمؤلفات التاريخية، منها مثلًا الكتب التي ألفت

(١) فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، مصدر سابق ص.٢٠.

(٢) فاروق حمادة ص. ٨٠.

في تاريخ الحرمين، وقد اعتمد بعض المؤرخين المنهج الحديثي في جمع الروايات، ومنهم الإمام الطبري، يقول الدكتور أكرم ضياء العمري: «وبعض المؤلفين جمع بين صفتي المحدث والمؤرخ مثل محمد بن إسحاق وخليفة بن خياط، ويعقوب بن سفيان القسوي، ومحمد بن جرير الطبري، وهؤلاء أفادوا منهج المحدثين بالتزام سرد الأسانيد ومحاولة إكمال صورة الحادث عن طريق جمع الأسانيد -أحياناً- أو سرد الروايات التي تُشكّل وحدة موضوعية تحت عناوين دالة<sup>(١)</sup>.

## ٢. المقرب الشمالي:

وهي الكتب التي قصد أصحابها التركيز على ذكر أخلاقه صلوات الله وسلامه عليه، وعاداته وفضائله وسلوكه القويم في الليل والنهار<sup>(٢)</sup>، ومن هذه الكتب:

الشمائل المحمدية للإمام محمد بن عيسى الترمذي ت٢٧٩هـ.

أخلاق النبي وآدابه للحافظ أبي محمد بن حيان الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ ت٣٦٩هـ.

الشمائل لأبي العباس جعفر بن محمد المستغفري ت٤٣٢هـ.

كتاب الأنوار في شمائل النبي المختار<sup>(٣)</sup> لأبي محمد بن مسعود البغوي ت٥١٦هـ.

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني ت٩٢٣هـ.

(١) أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ص١١.

(٢) أبو الحسن الندوي، الرسالة المحمدية ص٩٥.

(٣) فاروق حمادة، مرجع سابق، ص ٤٢.

### ٣. المقترَب الدلائلي:

وهي الكتب التي ألفها أصحابها بقصد جمع المعجزات التي ظهرت على يدي النبي ﷺ، مما يدل على نبوته (١)، ومن هذه الكتب:

- دلائل النبوة لأبي الحسن الحربي ت٢٥٥هـ.
- دلائل النبوة لأبي زرعة الرازي ت٢٦٤هـ.
- أعلام النبوة لأبي دواد السجستاني ت٢٧٥هـ.
- دلائل النبوة لابن قتيبة ت٢٧٦هـ.
- دلائل الرسالة لأبي المطرف بن أصبغ القرطبي ت٤٠٢هـ.

يقول الدكتور فاروق حمادة: «إن أفراد الدلائل والشمائل والأخلاق النبوية بكتب خاصة أو بحوث خاصة أمر هام جدًّا، ويشكل مادة خصبة وهامة أمام أصحاب الدراسات الاجتماعية، والدراسات النفسية ولعل النظر فيها يفتح لهؤلاء مشاريع جديدة في هذه الدراسات لذلك وجب تقديمها لهم صحيحة نقية بعيدة عن الضعيف والواهي»<sup>(٢)</sup>.

### ٤. المقترَب الفقهي:

وغالب هذه المصنفات ارتبط بكتب الحديث التي عنيت بجمع أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وأحكامه وقضاياه، وأفردت أبوابًا لمغازيه ومبعثه ونزول الوحي وكيفياته، بيد أن مقصد مؤلفي هذه الكتب كان منصبًا على الأقوال تكوّن مصدرًا للأحكام الفقهية<sup>(٣)</sup>، ومن أهم تلك الكتب:

(١) فاروق حمادة، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٢) فاروق حمادة، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٣) فاروق حمادة، مرجع سابق ص ٣٦.

- موطأ الإمام مالك، ت ١٧٩هـ.
- صحيح الإمام البخاري، ت ٢٥٦هـ.
- صحيح الإمام مسلم، ت ٢٦١هـ.
- سنن الإمام ابن ماجه، ت ٢٧٣هـ.
- سنن الإمام أبي داود، ت ٢٧٥هـ.
- سنن الإمام الترمذي، ت ٢٧٩هـ.
- سنن الإمام النسائي، ت ٣٠٣هـ.

وغيرها من الكتب التي اهتمت بالجانب الفقهي من حياة الرسول ﷺ، ويندرج في السياق نفسه كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن قيم الجوزية ت ٧٧١هـ، وكذلك بعض الكتب المعاصرة، التي ألفت في فقه السيرة، من قبيل: فقه السيرة النبوية للشيخ محمد الغزالي، وفقه السيرة والخلافة الراشدة للشيخ محمد سعيد رمضان البوطي.

## ٥. المقرب العسكري:

وغالبًا ما ارتبط هذا المقرب بصفة أساسية بكتب المغازي والسير، لأنها ركزت على غزواته وحروبه عليه الصلاة والسلام، وإن كانت لا تخلو من الحديث عن بعض قضايا السيرة النبوية والشخصية المحمدية.

وقد كانت المغازي محط عناية المسلمين منذ الصدر الأول، وظهرت هذه العناية واضحة عند أبناء الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وهم يسألون آباءهم عن مشاهدتهم مع رسول الله وذكرياتهم عنها<sup>(١)</sup>، لأن هؤلاء الأبناء يعتزون بسابقة آباءهم أو بمواقفهم المشرفة إلى جانب النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام.

(١) فاروق حمادة، مصدر سابق، ص ٤٦.

ومن مظاهر اهتمام السلف بهذا الفن، نستعرض هذه الأقوال:

- قال علي بن الحسين زين العابدين: (كنا نُعلِّم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن).<sup>(١)</sup>

- وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: (كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدها علينا، ويقول: هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها)<sup>(٢)</sup>.

- وقال الزهري: (في علم المغازي علم الآخرة والدنيا)<sup>(٣)</sup>.

ومن بين أهم تلكم المصنفات:

— سيرة ابن هشام: فهو من أهم وأقدم وأشمل مراجع السيرة النبوية؛ فهو تهذيب وتنقيح واختصار لكتاب سيرة ابن إسحاق الذي رواه عنه بواسطة البكائي؛ فكان من أهم مراجع السيرة لكل من جاء بعده.

— الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، لمؤلفه الإمام السهيلي ت ٥٥٨١ بمراكش.

— عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير للإمام أبي الفتح ابن سيد الناس الأندلسي ت ٥٧٣٤.

— الرسول القائد ﷺ، اللواء الركن محمد شيت خطاب.

— المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، اللواء الركن جمال الدين محفوظ.

(١) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض ط ١٤٣٠، الجزء ٢ ص ١٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٥.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ص ٢٤٢.

## ٦. المقترَب الأدبي والفني:

والمقصود بها تلك الكتب والمؤلفات التي نحت منحى النشر أو الشعر في مقارنة قضايا السيرة النبوية، ووقائعها وأحداثها، بأسلوب أدبي وإبداعي، يقول الدكتور فاروق حمادة: «... ولهذا فإن شعر تلك الفترة يجب أن يوثق توثيقاً صحيحاً ثم يدرس دراسة شاملة متكاملة بعد جمعه من مضانه، كدواوين الشعراء المفردة، ومعاجم الشعراء، وطبقات الشعراء، وكتب التاريخ والسير والأدب»<sup>(١)</sup>، ومن هذه الكتب والمصنفات:

- البيان والتبيين للجاحظ ت٢٥٥هـ وفيه أكثر من مئة حديث ونص نبوي.
- أدب الكاتب، والشعر والشعراء، والمعارف، كلها لابن قتيبة ت٢٧٦هـ.
- الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد، ت٢٨٥هـ.
- العقد الفريد لأحمد بن عبد ربه القرطبي ت٣٢٧هـ.
- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، ت٣٦٥هـ.
- هذا بالإضافة إلى القصائد الرائعة التي نظمها أصحابها في مدح المصطفى عليه الصلاة والسلام، منها مثلاً:
- الكواكب الدرّية في مدح خير البرية، أو البردة للبوصيري، ت ٦٩٦ هـ. وقد تضمنت عشرة فصول وهي:
- ✓ الفصل الأول: في الغزل وشكوى الغرام.
- ✓ الفصل الثاني: في التحذير من هوى النفس.

(١) فاروق حمادة، ص٩٥.

- ✓ الفصل الثالث: في مدح سيد المرسلين.
- ✓ الفصل الرابع: في مدح مولده.
- ✓ الفصل الخامس: في معجزاته.
- ✓ الفصل السادس: في شرف القرآن ومدحه.
- ✓ الفصل السابع: في إسرائته ومعجازه.
- ✓ الفصل الثامن: في جهاد النبي.
- ✓ الفصل التاسع: في التوسل بالنبي.
- ✓ الفصل العاشر: في المناجاة وعرض الحاجات.

يقول الدكتور زكي مبارك: «البوصيري بهذه البردة هو الأستاذ الأعظم لجماهير المسلمين، ولقصيدته أثر في تعليمهم الأدب والتاريخ والأخلاق، فعن البردة تلقى الناس طوائف من الألفاظ والتعابير غنيت بها لغة التخاطب، وعن البردة عرفوا أبوابًا من السيرة النبوية، وعن البردة تلقوا أبلغ درس في كرم الشمائل والخلال. وليس من القليل أن تنفذ هذه القصيدة بسحرها الأخاذ إلى مختلف الأقطار الإسلامية، وأن يكون الحرص على تلاوتها وحفظها من وسائل التقرب إلى الله والرسول»<sup>(١)</sup>.

وهذه القصيدة ألهمت أمير الشعراء أحمد شوقي، ت ١٩٣٢م فنظم على منوالها نهج البردة.

## ٧. المقرب السياسي:

وهي المؤلفات التي اهتمت بالجانب السياسي في حياة الرسول ﷺ، وركزت على الجوانب المرتبطة بتدبير الدولة وتسير شؤونها، حيث يتم التمييز بين المرحلة المكية والمرحلة المدينة، ففي العهد

(١) زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص ٢١٥.

المدني أقام الدولة الإسلامية المدنية ووضع دستورها، وأدار سياسة التحالفات، واستطاع ﷺ أن يحسن سياسة الخصوم قبل أصحاب.. وما بيعة العقبة الأولى والثانية وصلح الحديبية وفتح مكة وغيره من المواقف إلا شاهد على عظمة المنهج السياسي للسيرة النبوية. ومن أهم الكتب في هذا الصدد:

- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، محمد عبد الحي الكتاني ت ١٣٨٢هـ.
- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي ت ١٤٢٤هـ.
- المنهج السياسي للسيرة النبوية، منير الغضبان.
- قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد رواس قلعجي.
- الجوانب السياسية في خطب النبي عليه الصلاة والسلام، محمود عبد الهادي دسوقي علي.

## ٨. المقترح الخصائص:

وهي مقارنة تتغى بيان الخصائص المميزة للذات المحمدية والشخصية النبوية، سواء من الناحية التشريعية أو التفضيلية، وهو بهذا الاعتبار ملحق من ملحقات السيرة النبوية ومتعلقاتها، وهو في الأصل جزء من الشمائل والدلائل والفضائل، ولذلك نجد بعض المؤلفين يدرجونه في كتب دلائل النبوة، ومن هذه العناوين المهمة:

- بداية السؤل في تفضيل الرسول عليه السلام، للعز بن عبد السلام ت ٦٦٠هـ.
- غاية السؤل في خصائص الرسول ﷺ: سراج الدين المشهور بابن الملقن ت ٨٠٤هـ.

– اللفظ المكرم بخصائص النبي المحترم، قطب الدين محمد بن محمد الحيزري، ت ٨٩٤هـ.

– كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، المعروف بالخصائص الكبرى، الإمام السيوطي ت ٩١١هـ.

## ٩. المقرب الموضوعي:

والمقصود به هو أخذ موضوع من مواضيع السيرة وقضاياها، أو الحياة ومشكلاتها، والكتابة عنه، كمن يكتب «غزوة بدر دروس وعبر» أو يكتب: «تربية الأبناء من خلال السيرة»، وغير ذلك. والمؤلفات على المنهج الموضوعي كثيرة وغزيرة ومتجددة.

## ١٠. المقرب التقويمي النقدي

وهي المؤلفات التي توجهت رأساً إلى نقد وتقويم ما أُلّف حول السيرة النبوية، معتمدين في ذلك على المناهج العلمية في النقد والتقويم، ومن بين أهم هذه المؤلفات:

- مصادر السيرة النبوية وتقويمها للدكتور فاروق حمادة.
- المستشرقون والسيرة النبوية لعماذ الدين خليل.
- مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، للدكتور عبد الرزاق هرماس.
- الاستشراق في السيرة النبوية لعبد الله النعيم.

من خلال ما سبق يتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن السيرة النبوية، قد دُرست وخدمت فعلاً من زوايا أساسية متعددة، استطاعت أن تضع أمام أجيال الأمة والبشرية عامة، المادة المعرفية الأولى التي ترسم لنا معالم السيرة النبوية، باعتبارها حركة تجسيد حي لحقائق

القرآن والسنة ومقاصدهما في الحياة، بشكل شامل ودقيق، يوفر الشروط الضرورية لتحقيق الاقتدائية المطلوبة بهذه السيرة النبوية، والاستثمارية الفعالة لمعطيها الغنية المتنوعة<sup>(١)</sup>.

وهذا راجع بالأساس إلى تميز سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، بأنها سيرة النبوة الخاتمة والرسالة الخالدة، فاستمر عطاؤها، ومن ثمَّ ظل كتابها مفتوحًا دائمًا وأبدًا لاكتشاف السنن والقوانين والدروس والعبر والعظات<sup>(٢)</sup>، وبما أنها يسفر مفتوح، فقد تم استثمارها في تربية النشء على تعاليم الإسلام، اقتداءً وتأسياً بالأنموذج الكامل، والنبى الخاتم عليه الصلاة والسلام.

### ★ المحور الثالث: المقرب السنني لتدريس مدخل الاقتداء.

قبل الحديث عن المقرب السنني في تدريس السيرة النبوية، أو كيفية استثمار مدخل الاقتداء في المنهاج الجديد لمادة التربية الإسلامية، يحسن بنا إعطاء صورة بانورامية لمفردات مدخل الاقتداء من السنة الأولى ابتدائي إلى السنة النهائية باكوريا، مع تدوين بعض الملاحظات والتوجيهات<sup>(٣)</sup> قبل اقتراح السيناريو البيداغوجي لتدريس مدخل الاقتداء، وفق المقاربة السننية.

(١) الطيب برغوث، المنظور السنني لدراسة السيرة النبوية، بحث علمي، المؤتمر العالمي الأول للباحثين في السيرة النبوية، فاس، المملكة المغربية.

(٢) محمد عمارة، تقديم: كتاب النور الخالد محمد عليه الصلاة والسلام مفخرة الإنسانية، محمد فتح الله كهلن، دار النبل للطباعة والنشر، طه ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٧.

(٣) للمزيد من التفصيل والبيان، انظر: بحث تربوي مرقون، بمركز تكوين مفتشي التعليم، تخصص التربية الإسلامية، مسلك الثانوي التأهيلي، تحت عنوان: «السيرة النبوية وبناء شخصية المتعلم: قراءة منهجية تأويلية في منهاج التربية الإسلامية الجديد بالأسلاك الثلاثة، إعداد الطلبة المفتشين: أحمد أماني - أسماء الحلواني - عمر إد حماد، السنة التكوينية ٢٠١٦-٢٠١٧.

✳ أولًا: عرض لمفردات مدخل الاقتداء في السلك  
الابتدائي:

السن التقريبي	المفهوم أو عنوان الدرس	المستويات	السلك
٦ سنوات	<p>محمد ﷺ نبي مولد الرسول ﷺ مولد الرسول ﷺ قصة الفيل رضاعة الرسول ﷺ وإكرام الله له يتم الرسول ﷺ وكفاله أحب رسول الله: ﷺ أوقره</p>	السنة الأولى	السلك الابتدائي
٧ سنوات	<p>مولد الرسول ﷺ ونشأته الرسول ﷺ المطهر علامات النبوة، قصة الراهب بحيرى الرسول ﷺ المبشر به كدح الرسول ﷺ: الرعي أحب رسول الله ﷺ: أقتدي به</p>	السنة الثانية	



<p>٨ سنوات</p>	<p>الرسول ﷺ طفلاً كدح الرسول ﷺ في سبيل الرزق الرسول ﷺ الصادق الرسول ﷺ الأمين الرسول ﷺ يؤلف بين قومه أحب رسول الله ﷺ: أتخلق بأخلاقه</p>	<p>السنة الثالثة</p>	
<p>٩ سنوات</p>	<p>الرسول ﷺ شاباً رعاية الله وحفظه لرسوله ﷺ خلوة الرسول ﷺ بعثة الرسول ﷺ إسلام خديجة بنت خويلد أحب رسول الله ﷺ: أتخلق بأخلاقه</p>	<p>السنة الرابعة</p>	
<p>١٠ سنوات</p>	<p>بعثة الرسول ﷺ الرسول ﷺ المصدق مساندة خديجة رضي الله عنها لِلرَسُولِ ﷺ إسلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إنذار الرسول ﷺ لعشيرته أحب رسول الله ﷺ: أنصره</p>	<p>السنة الخامسة</p>	



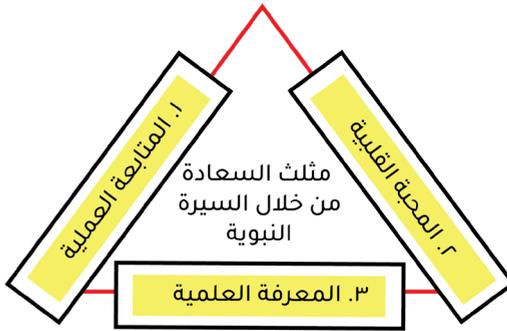
١١ سنة	بعثة الرسول ﷺ والدعوة السرية الرسول ﷺ مبلغًا صبر الرسول ﷺ على الأذى قصة ابتلاء آل ياسر جِلم الرسول ﷺ ورحمته أحب رسول الله ﷺ ألتزم هدي النبي الخاتم	السنة السادسة	
--------	---	---------------	--

\*\*\*ملاحظات عامة:

- ◆ من الأمور التي وجب التنبيه عليها في تدريس مدخل الاقتداء وغيرها من المداخل الأخرى، هو توارى مسميات المواد الدراسية الشرعية، فعوض العقيدة التزكية، وعوض السيرة النبوية الاقتداء، وعوض الفقه الاستجابة، وهكذا دواليك.
- ◆ واضعو المنهاج كانوا موفقين إلى حد كبير في اختيار مفردات عناوين مدخل الاقتداء، غير الرهان يبقى متعلقًا بلجان التأليف، والأساتذة داخل الفصول.
- ◆ هناك تلاؤم بين القضايا المثارة والفئة العمرية المستهدفة، واستجابة للحاجات الوجدانية والمعرفية في تدرج بيداغوجي في إرساء المفاهيم ونماؤها.
- ◆ هناك محذور يرتبط بالإدراك فوق حسي لبعض المسميات سواء في مدخل الاقتداء أو غيره من المداخل، سواء في العناوين أو في متن الدروس، بحيث إن الطفل دون سبع سنوات يحتاج إلى إبداع من أجل تقريب عام الفيل، وكفالة الرسول اليتيم، بله عن وضعه في السياق الزماني والمكاني.



- ◆ عدم مراعاة تسلسل الأحداث والوقائع قد يشوش على الصورة الذهنية للسيرة النبوية، أو الإخلال في بناء المفاهيم التربوية والقناعات الاعتقادية.
- ◆ إذن لا بد من تنويع أنشطة الاكتساب وطرائق الاشتغال في إرساء موارد السيرة ومفردات مدخل الاقتداء، حتى يتسنى للمتعلم الاستيعاب السليم والنافع لمعطيات السيرة، ترسيخاً للقيم وبناء للقناعات.
- ◆ من الأمور الحميدة التأكيد والتنصيص على ما سميته مثلث السعادة من خلال الاقتداء بمفخرة الإنسانية.



أحب رسول الله ﷺ	١-أوقره	٢-أقتدي به	أتخلق بأخلاقه	٤-أصلي عليه	٥-أنصره	٦-ألتزم هديه
-----------------	---------	------------	---------------	-------------	---------	--------------

- ◆ إن مقارنة الدرس السيرى لا بد لها من الإفادة من تطور العلوم الاجتماعية والبدagogيات المعاصرة، وهذا ما أكده الدكتور أكرم ضياء العمري: «ويكفي أن القارئ لدراسة حديثة في السيرة النبوية لا يكاد يحس فرقا مهماً بينها وبين كتاب سيرة ابن هشام أو زاد المعاد على تباين أسلوب ومنهج الكاتبين، رغم التطور الهائل في الدراسات الاجتماعية في

العصر الحديث، وما تقدمه العلوم الحديثة من معطيات ضخمة تخدم الدراسات الاجتماعية، وللأسف فإننا نعيش على آفة العلم الحديث ولم نجرؤ على اقتحامه لنفيد من معطياته الثرية المتنوعة»<sup>(١)</sup>.

(١) أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ص٤٤.



★ ثانيًا: عرض لمفردات مدخل الاقتداء في السلك  
الثانوي الإعدادي والثانوي التأهيلي:

السن التقريبي	المفهوم أو عنوان الدرس	المستويات	السلك
٢٠١٢ سنة	بعثة الرسول ﷺ ودعوته السرية والجهرية	السنة الأولى	الثانوي الإعدادي
	ثبات الرسول ﷺ		
	صبر السابقين الأولين		
	دار الأرقم: التآلف والتشاور		
١٣ سنة	الهجرة إلى الحبشة وبيعنا العقبة: طلب الأمان والنصرة	السنة الثانية	
	حصار الدعوة وثبات أهلها		
	الرسول ﷺ يناجي ربه - الطائف والإسراء والمعراج		
	تصديق الرسول ﷺ ونصرته: أبو بكر الصديق		
١٤ سنة	حماية الدعوة وبناء الدولة: الهجرة إلى المدينة	السنة الثالثة	
	المسجد نواة المجتمع الإسلامي		
	الرسول ﷺ يرسي قيم السلم والتعايش وثيقة المدينة		
	إيواء الرسول ﷺ ونصرته: أبو أيوب الأنصاري، أم سليم		



١٥ سنة	فقه السيرة: الغايات والمقاصد	الجدع المشترك	الثانوي التأهيلي
	محمد رسول الله ﷺ القائد		
	نماذج للتأسي عمر بن الخطاب وعزة الإسلام		
	غزوة بدر وأحد: دروس عبر		
١٦ سنة	صلح الحديبية وفتح مكة: دروس وعبر	السنة الأولى	
	الرسول ﷺ مفاوضًا ومستشيرًا		
	نماذج للتأسي عثمان بن عفان وقوة البذل وصدق الحياء		
	الرسول ﷺ في بيته		
١٧ سنة	إكمال الدين ووفاء الرسول ﷺ	السنة الثانية	
	الرسول ﷺ نموذج الكمال البشري		
	نماذج للتأسي: علي بن أبي طالب وزينة القوة والعلم		
	واجبنا نحو الرسول ﷺ		

\*\*\*ملاحظات عامة:

- ◆ يظهر من خلال المقارنة بين مفردات مدخل الاقتداء في السلك الابتدائي والسلك الثانوي، أن هناك ابتعادًا عن كل المواضيع التي لا تناسب سن المتعلم، والتي ترتبط بالصبا والطفولة.

- ◆ يبدو جلياً أن مفردات مدخل الاقتداء لم تستوفِ كل مراحل السيرة النبوية، لذلك وجب استدراك هذا الأمر، من خلال التركيز على أهم الأحداث المفصلية والمحورية في السيرة، ومن خلالها تتم الإشارة إلى بعض القضايا الجزئية، والتركيز على الدروس والعبر والسنن والفوائد من الأحداث والوقائع.
- ◆ مراعاة التدرج في سرد الأحداث وبناء المفاهيم التربوية والاقتدائية بناء على استثمار جيد للدرس السيرى.
- ◆ حسن اختيار نماذج من الصحابة للتأسي، وتحقيق الملاءمة البيداغوجية بين المعطيات المعرفية والتوجيهات القيمة والسلوكية، وذلك من خلال التركيز على بعض السمات والخصال التي تميزها، فمثلاً: عمر الاعتزاز بالإسلام، وعثمان قوة البذل وصدق الحياء، وعلي زينة القوة والعلم، وهي شخصيات فذة من جيل الصحابة الفريد.
- ◆ تحقيق الانسجام والتمفصل بين مدخل الاقتداء وباقي المداخل فمثلاً نجد في مدخل الاستجابة، درس الزواج ودرس رعاية الأطفال ودور الأسرة نواة المجتمع، وفي مدخل الاقتداء الرسول ﷺ في بيته، بالإضافة إلى درس العفة والحياء في مدخل القسط وهو منسجم مع درس عثمان بن عفان وقوة البذل وصدق الحياء في السنة الأولى ثانوي تأهيلي.
- ◆ غير أن الملاحظة الأهم هو أن المقاربة في تدريس هذه المفردات هي التي تشكل المحك الحقيقي في تحقيق الاقتدائية والاستثمارية، ولذلك نقترح المقترح السنني من أجل تحقيق هذه المقاصد والأبعاد.



## \* ثالثاً: ما المقصود بالمقرب السنني في تدريس السنة النبوية؟

### ١. ما المقرب السنني؟

نقصد بالمقرب السنني، الآلية المنهجية التي تؤهلنا من أجل الإدراك الحقيقي للأنظمة والنواميس والقوانين الثابتة، التي أودعها الله تعالى في كل مفردة كونية لكي تؤدي وظيفتها الذاتية والكونية بانتظام، والانتقال بهذه السنن من دائرة الإهمال إلى دائرة الإعمال<sup>(١)</sup>.

والسننية أحد أهم مفردات التصور الإسلامي وخصائصه كما أصلها القرآن الكريم وجسدتها السنة والسيرة النبوية، ويكفي أن الله تعالى أمر المسلمين باستنباط والاعتبار بالسنن المؤطرة للنهوض والسقوط الحضاري من خلال السير في الأرض والنظر في تجارب السابقين مؤمنين ومكذبين<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ( قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ، هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ )<sup>(٣)</sup>، ويبين سبحانه وتعالى أن هذه السنن مترابطة يخدم بعضها بعضاً بشكل مطرد ثابت مستمر لا يتبدل ولا يتغير ولا يتحول قال تعالى: ( فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا )<sup>(٤)</sup>، ويقول عز وجل: ( سُنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا )<sup>(٥)</sup>، وغيرها من الآيات والشواهد كثير، فقد وردت لفظ سنة ثمانى عشرة مرة في القرآن الكريم، وفي تعريف للسنن يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله: «النواميس التي تحكم حياة البشر وفق مشيئة الله الطليقة، وأن ما وقع منها في الماضي يقع في الحاضر إذا أصبحت حال الحاضرين مثل حال السابقين»<sup>(٦)</sup>.

(١) الطيب برغوث، مقدمة في المنظور السنني لدراسة السيرة النبوية، ص ٩ مرجع سابق.

(٢) عبد العزيز الإدريسي، ما المقصود بالوعى السنني؟ مقال علمي بمجلة حراء التركية، العدد ٦١.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٣٧.

(٤) سورة فاطر الآية ٤٣-٤٤.

(٥) سورة الإسراء الآية ٧٧.

(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص ٤٨.

ومن ثم كان العدول عن التعامل مع السنن الجارية واكتشاف قوامين التسخير، إلى السنن الخارقة وانتظار المنقذ القادم من الغيب ليعالج التخلف والتأخر والتمزق، ويملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جوراً وظلماً وفي هذا ما فيه من مجافاة للعقل المسلم والإنجاز الحضاري في عصر النبوة<sup>(١)</sup>، عصر السعادة والأسوة.

إن ضمور المنهج السنني الشمولي والتكاملي في مقارنة قضايا السيرة النبوية يؤدي إلى:

- العجز عن التعبير عن حقائق الإسلام ومقاصده الكبرى.
- تكريس الحرفية التجزيئية والتنافرية الفكرية والسلوكية.
- حرمان حركة الوعي من النزعة الاجتهادية التجديدية.
- العجز عن تحقيق الاقتدائية الاستثمارية الفعالة لمعطيات السيرة.<sup>(٢)</sup>

يقول المفكر مالك بن نبي في هذا الصدد: «ليست التربية من إنتاج المتعالمين وبحار العلوم، الذين يعرفون جميع كلمات المعاجم، دون أن يلمُّوا بما تترجم عنه هذه الكلمات من وقائع، خيراً كانت أم شراً، وأولئك الذين يعرفون جميع المبادئ والتعاليم التي جاءت في الإسلام، دون أن يستطيعوا تطبيق مبدأ أو تعليم واحد لتغيير أنفسهم، أو تغيير بيئتهم. فكلُّ حقيقة لا تؤثر في الثالوث الاجتماعي: الأشخاص، والأفكار، والأشياء، هي حقيقة ميّنة. وكلُّ كلمة لا تحمل جنين نشاط معيّن، هي كلمة فارغة، كلمة ميّنة مدفونة في نوع من المقابر، نسّميه: القاموس»<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما يؤكده الأستاذ محمد فتح الله كولن في قوله: «وفي حقيقة الأمر، فشلك في النظر إلى المسائل من خلال «نظرة كئيبة»، سوف يؤديّ حتماً إلى الإفراط أو التفريط.. ونجد اليوم أنّ «للنظرة الكئيبة» دوراً مهماً في مطالعة العلوم (الوضعية والإنسانية)

(١) عمر عبيد حسنة حتى يتحقق الشهود الحضاري، ص١.

(٢) الطيب برغوث، مقدمة في المنظور السنني لدراسة السيرة النبوية، ص٤٨ مرجع سابق.

(٣) مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ص٧٦.

وتقييمها... أو بعبارة أخرى، النظر من خلال القواعد الكلية هو الأساس، بينما تقييم الوجود (الكون) وتحليله وقراءته يتم من خلال علاقة الجزء بالكل.. لذلك إذا أخذت الجزئيات بنظر الاعتبار، أو حللت القضايا والظواهر الجزئية بغض النظر عن القواعد الكلية، هناك سيختلّ الميزان، وسيفسد الانسجام الكلي..»<sup>(١)</sup>.

وفي حال السيرة النبوية، ما من شك أن الذي يحفظ تفاصيلها، ويدبج الخطب العريضة في وصفها، ويكتب المقالات المطوّلة حولها؛ لكن دون القدرة على «تحويل المعلومة إلى معرفة، والمعرفة إلى سلوك، والسلوك إلى دعوة»، هو مجرد ناقل، لا يصلح لبناء حضارة؛ ومن ثمّ يذكر الأستاذ «رشيد هيلماز»، وهو تلميذ للأستاذ فتح الله، ومتخصّص في السيرة النبوية، أن الأستاذ فتح الله كولن<sup>(٢)</sup> يقول: من خلال السيرة النبوية، ومن أبسط الجزئيات، أستخرج قواعد كلية للحركية، وأعالج إشكالات معقّدة، بدونها لم أكن لأهتدي إلى الحلّ؛ وكلّما اعترضني مشروع أو قضية أعرضها على كلام الله، وعلى سنّة المصطفى، وعلى سيرته العطرة؛ ثم على تراث الأمة والبشرية؛ لأخرج بجواب أقرب ما يكون إلى الصدق والفعالية.

ومن ثم كان استثمار المقرب السنّي في تدريس مدخل الاقتداء، أو مقارنة الدرس السيرّي، أقدر على:

١. اكتساب النظرة الشمولية الكلية لقضايا النبوة ومقاصد الرسالة.

٢. التعامل مع السيرة النبوية بوعي ومسؤولية.

٣. امتلاك موازين التعامل مع السيرة النبوية وأحداثها.

٤. الابتعاد عن «اللفظية»، و«الظاهرية»، و«الجزئية» في قراءة أحداث السيرة وشخصياتها وأفكارها.

٥. الاستفادة من المقتربات العشر السالف ذكرها، لأنها تشكل الأرضية المعرفية والإطار المنهجي للاستمداد من السيرة النبوية.

(١) فتح الله كولن: الحرة المشروحة، ج ٤ ص ٨٩.

(٢) نفسه ص ٩.

٦. تنمية وتعزيز وترشيد قدرات الفهم ومهارات الوعي للمفاهيم  
تأصيلاً وتنزيلاً.

٧. اكتشاف معالم الرؤية السننية الكلية، ونواظمها الفكرية  
والقيمية والمنهجية.

## ٢. موجّهات لسيناريو بيداغوجي لتدريس مدخل الاقتداء:

ثمة طرق كثيرة ومتنوعة لتدريس مدخل الاقتداء، أو ما يسميه  
أهل الاختصاص بالنقل الديداكتيكي لمعارف السيرة النبوية، ومنها:

أ. الطريقة الطولية: وهي الطريقة التي تعرض فيها سيرة  
الرسول ﷺ وأصحابه عرضاً ينسجم والسيرورة الزمنية من  
الميلاد إلى البعثة إلى الهجرة وحتى وفاة الرسول عليه السلام  
والخلفاء من بعده.

ب. الطريقة العرضية: وتنحو منحى المقاربة الموضوعية حيث  
تبرز أهم المواقف في حياة الرسول عليه السلام والصحابة  
بصرف النظر عن التتابع الزمني.

وسواء تعلق الأمر بالطريقة العرضية أو الطولية التي تضمنهما  
مدخل الاقتداء في مفرداته، فإن هناك جملة من الضوابط التي  
تؤطر عملية النقل الديداكتيكي ومنها:

١. التأكد من صحة الروايات التي تخص السيرة، وذلك بالاعتماد  
على ما صح والاستغناء به عما سواه.

٢. الرجوع في التوثيق إلى الأمهات والمصادر الأصلية للسيرة  
النبوية وعلى رأسها القرآن الكريم.

٣. مراعاة مبدأ الانسجام وخاصة التكاملية في أحداث السيرة  
حتى لا نسقط في التبعية والذرية.

٤. اعتماد أساليب تدريس مناسبة (القصة، الحوار، التمثيل، تحليل المواقف، تحليل النصوص).

٥. اعتماد أسلوب ضرب الأمثلة في حوادث السيرة وبيان ما تضمنه الحدث من قيم واتجاهات وأفكار.

٦. تمهير المتعلم من خلال الاشتغال المباشر على نصوص من السيرة النبوية، وتدريبه على: الفهم والتحليل والاستدلال والمقارنة، والاستنتاج، وتوظيف المفاهيم الشرعية وتحديد خصائصها، والتمييز، وربط الأفكار والقيم والاتجاهات بالأحداث والأشخاص وبيان الجوانب الإيجابية والسلبية، عبر التعبير عن الموقف والاتجاهات.

٦. التنصيص على تحليل المواقف بما هي منهجية عرض الموقف ثم استقصاء القيم والاتجاهات منه.

٧. تنوع طرائق وأساليب عرض الحدث السيرى: الأسلوب التمثيلي - الأسلوب القصصي - أسلوب تحليل نص سيرى - أسلوب عرض المواقف وتحليلها - الأسلوب التشخيصي الاستنتاجي...

هذه الأساليب وغيرها تساعد تشويق المتعلم للتفاعل والانتباه أكثر، بالإضافة إلى تنمية خيال التلاميذ وتهذيب وجدانهم وشحن الذاكرة ويساعد على ارتفاع درجة الانتباه والتركيز في الموقف التعليمي.

٨. بالإضافة إلى استثمار التقنيات الحديثة، وتكنولوجيا الإعلام والتواصل، لأنها تفتح آفاقاً ارتيادية، في تقريب بعض المعارف (أماكن - شخصيات - أشياء - خرائط - معطيات - أسلحة - أدوات - صور - مجسمات - فيديوهات - تطبيقات - نقل مباشر...) خصوصاً مع التطور الهائل الآن في طريق العرض والتقديم.

٩. استخلاص العبر والعظات واستنباط السنن والقوانين والنواميس من خلال الحدث السيرى وعلاقته بواقعنا المعاصر.



## ✓ خلاصات:

- ◆ في أثناء مقارنة مدخل الاقتداء لا بد من الأخذ بعين الاعتبار الفئة المستهدفة، مدى مناسبة المعطيات وملاءمتها.
- ◆ الحرص على البعد النمائي للمفاهيم المرتبطة بالسيرة النبوية، خاصة ما ارتبط بالإدراك الفوق حسي للمتعلمين.
- ◆ استحضار التقاطعات المعرفية والتمفصلات البيداغوجية بين المداخل والصور المقررة ومحاولة البحث باستمرار عن السبل الممكنة عملياً لاستثمارها خلال المعالجة الديداكتيكية تدريجياً أو تقويماً.
- ◆ ضرورة توظيف الموارد الرقمية في تدريسية مدخل الاقتداء، لما يتيح من فرص وإمكانات هائلة.

## ✓ خاتمة:

ختاماً هذه الورقة هي مجرد مشروع لتعميق النظر في هذا المقترح من أجل تجويد الممارسة الديداكتيكية والرفع من الأداء البيداغوجي لمدرسي مادة التربية الإسلامية، ويبقى باب البحث مشرعاً والإبداع مفتوحاً في هذا المجال الحيوي الممتع والنافع.

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه حامداً ومصلياً

عبد العزيز الإدريسي

elidirissihiba@gmail.com

٠٦٧٠١٣٩٧٦١

أسفي حاضرة المحيط